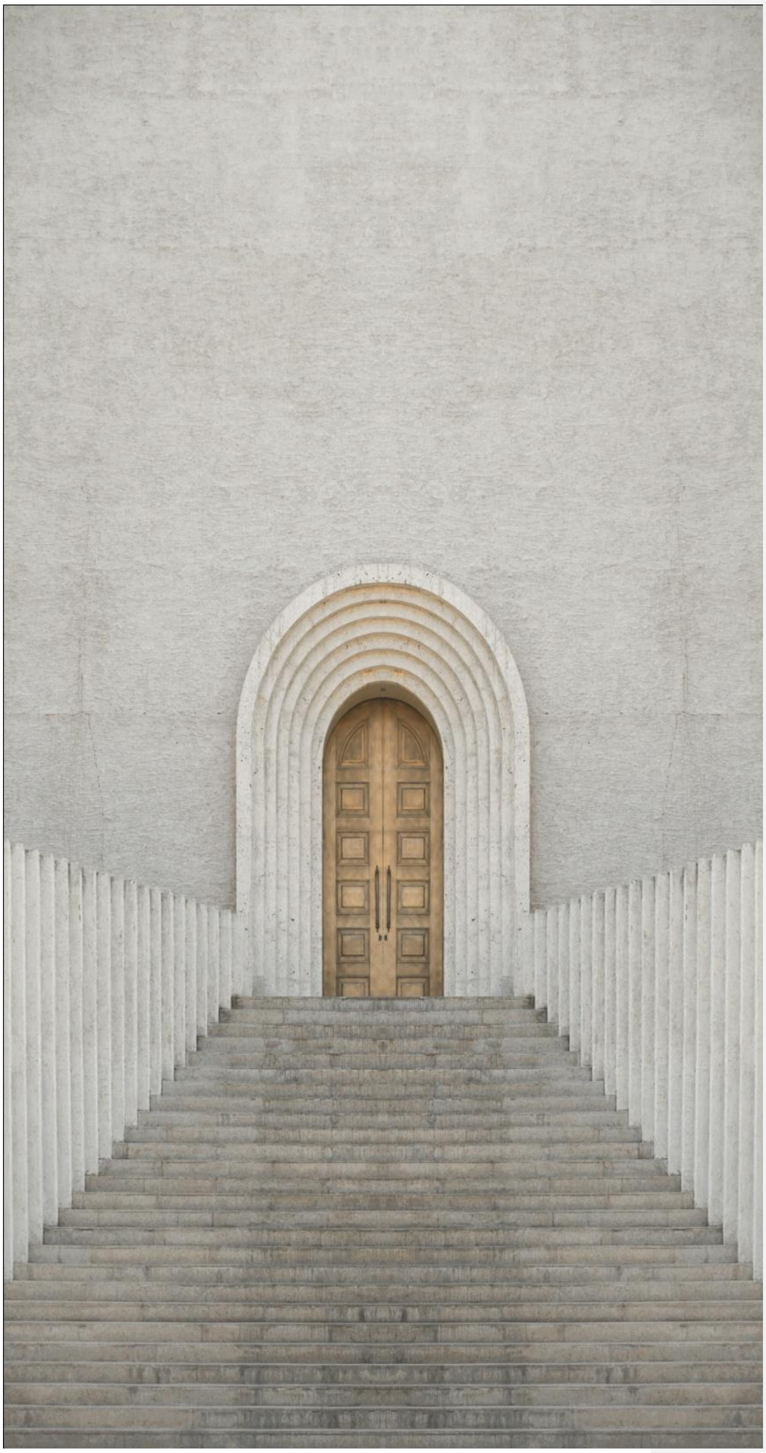

و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

أعمالُنا في اليومِ واللّيلةِ

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٣/١٠/١٤٤٥هـ

"أعمالُنا في اليومِ واللّيلةِ"

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمدًا عبده ورسوله.

لقد صُنفتْ كتبٌ كثيرةٌ حول العمل الذي على المسلم أن يمارسه في يومه وليلته، أشهرها كتاب **(لطائفُ المعارفِ لمواسمِ العامِّ من الوظائف)** لابن رجب رحمه الله، والذي يسرِد فيه كلَّ العبادات التي مارسها النبي ﷺ فيه، وكلَّ البدع التي ابتدعها الناس، وغيرَ ذلك، ونحن بحاجةٍ ماسّةٍ -حقيقةً- لمثل هذا الطريق، خاصّةً بعد خروجنا من شهر رمضان المبارك، إذ لا ينبغي أنْ تكون العبادات منظّمةً في رمضان فحسب، بل لا بدّ لنا من ترتيب أوراقِ أعمالنا الصالحة على أكمل وجهٍ، وحمايةِ أنفسنا من الانجرار وراء الذنوب والمُلهيات، ومن ثمَّ قطْع الطريق الذي سِرنا عليه في رمضان، فعلماؤنا كانوا مهتمّين جدًّا بقضية الوقت، ولم يكونوا يعتبرون الدينَ مجرّد مشاعرَ أو حماسةٍ فحسب، بل كانوا يتّخذون نبيَّ الأمة ﷺ قدوةً لهم، إذ يجب على العبد أن يترجمَ إحساسه بالدين إلى عملٍ مُستدَام.

فحديثنا -في هذه المحاضرة- سيكون عن **سبعِ مقدماتٍ رئيسيةٍ**، يجب الأخذَ بها قبل الشروع بأعمال اليوم واللّيلة:

الأولى- الافتقارُ إلى الوحي:

إنّ استحضارَ النية في العبادات بما في ذلك حضور الدروس الدينية، والإقبالِ على أعمال الخير أمرٌ جوهريٌّ يوكّد عليه الإسلام، **فالنيّة خطوةٌ أساسيةٌ تحدّد الاتجاه الروحي للعمل** ومدى قَبوله عند الله ﷻ، لذلك يجب على المسلم استحضارَها في مختلف الأعمال والعبادات والطاعات، وأن يقصدَ بها التقرّب من الله ﷻ والفوزَ برضاه وثوابه، وبذلك تكون النيةُ الخالصة لله ﷻ الزادَ الذي يحوّل الأعمال إلى بذورٍ ثمارُها في جنات النعيم.

ومن أهم النوايا التي يجب على المسلم أن يركّز في استحضارها هي نية الافتقار إلى الوحي، لمعرفة كلّما يريده منه الله ورسوله، حيث يُعدُّ الافتقار إلى الوحي في الإسلام ركيزةً أساسيةً يقوم عليها بناء العمل الصالح والثبات عليه، لأنّ الوحيَ ليس مجرد خطابٍ إلهيٍّ يهدي البشرية إلى معرفة الله ﷻ وأحكام دينه فحسب، وإنما هو ذلك النور الذي يحتاجه كلُّ مسلم يسعى إلى تنقيح نفسه وصقلها بالأعمال الصالحة، كما أنّ الافتقار إلى الوحي يُعظّم في نفس المسلم شعورَه بالحاجة إلى تعاليم الإسلام

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

وتوجيهاته التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، معتبرًا إياها المنهلَ الذي ينهَل منه ماء الحياة الطاهرة.

والقرآن يرشد إلى مكارم الأخلاق، ويحثّ على الأعمال الصالحة، والسنة تبين وتفصل ما أُجمل في القرآن، ومن هنا تأتي أهمية الرجوع إلى الوحي كخريطة طريقٍ لكلِّ مسلمٍ يسعى لتحقيق العبودية لله ﷻ بشكلٍ صحيح. فمن **دون الوحي، يصبح العمل مهددًا بالانحراف عن المقصود والغاية منه**. والإسلام يؤكد أن العلم والعمل يجب أن يسيرا جنبًا إلى جنب، فالعلم بالوحي ينير الطريق للعمل الصالح، والعمل الصالح يدلّ على حسن الفهم للوحي.

أضف إلى ذلك -أخي المسلم- أن مواصلة العمل الصالح تستلزم الإحساسَ المتجدد بالحاجة مع كل خطوة للرجوع إلى الوحي وفهمه على الوجه الأكمل، ومن ثَمَّ تطبيقه بصدقٍ وإخلاص، مما يشكل استجابةً فطريةً للإنسان المسلم الذي يرى في الوحي سبيلًا لرضوان الله ﷻ وجنةً واسعةً يرتادها كلما ضاقت به الدروب، فالافتقار إلى الوحي يعد إقرارًا بالعجز الإنساني وإذعانًا للهداية الإلهية الكاملة التي تكمل مسيرة الإنسان في دنياه وأخراه.

الثانية- تذكُّرُ حقيقة الدنيا:

على كل عبد مسلم أن يتأمّلَ حقيقة الحياة الدنيا وزوالها، وأن يستشعر أنها لذّاتٌ عابرةٌ، وظلٌ متحرّكٌ بين الشروق والغروب. إن الدنيا كما وصفها رسول الله ﷺ متاعٌ قليلٌ، والعاقل هو من يستثمر هذه الغفلة الفانية فيما ينفعه في مستقر ثباته ودوامه، ألا وهي الدار الآخرة، فالدنيا لا ينبغي أن تغرَّ الإنسان وتأخذ بلُبّه حتى يصبح السعي وراء زخارفها ومتاعها شغلَه الشاغل، متناسيًا أن كل شيء فيها إلى زوال. والتطلع إلى الآخرة يصفّي النفس ويصقلها، ويبعث في القلب نورًا يهدي العبد إلى درب الخير والرشاد. والرغبة في الآخرة تُظهِر جليًّا محدودية الدنيا وما تحويه من فتن، وإنّ ما عند الله ﷻ من نعيمٍ مقيمٍ لا يُقارنُ بحُطامِ الدنيا. لذا؛ فكلُّ مسلم مطالبٌ بأن يقيّمَ أعماله ويوجّهها فيما يرضي خالقه ويرعى حدوده، فالعمل الصالح والتجارة مع الله ﷻ لن تبور، وثمرتها مودةُ الرحمن وجنةٌ عرضها السماوات والأرض. **فلا بد للعبد أنْ يعلم أنّ الجري وراء الدنيا وحدها هو سعيٌ بلا وجهةٍ أبديةٍ.**

في المقابل؛ فإنّ التطلع للفوز بالآخرة هو مسيرة الحكمة الباقية والعمل الموزون بميزان الحق والعدالة الإلهية، ومن هنا يأتي التذكير لكل مسلمٍ ومسلمةٍ بضرورة التوازن في الحياة، أن يستمتع بالدنيا وما

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

فيها من نعمٍ على وفق امتثال أوامر الله ﷻ واجتناب نواهيه، وأن يزن أفعاله بميزان العاقبة، وأن يبني لآخرته كما يبني لحياته الدنيا.

فما أعظمَ الحياةَ حين تتجلى في ضوء الأخروية! وما أجلّ العمر حين يُعاش لغايةٍ أبديةٍ! إن المسلم الحق هو الذي يُزوِّد في رحلته الدنيوية بزادٍ من الأعمال الصالحة والنيات الخالصة التي تُثقل موازينه يوم القيامة، وتُشرق به في دار السلام، حيث لا يبلى متاعُها ولا تبور تجارتُها. وللدنيا محاسنُها وجمالها الذي خلقه الله ﷻ لعباده، لكنّ الفطِنَ هو الذي ينظر إلى هذا الجمال نظرة موازنةٍ تذكّره بأن كل شيءٍ من هذا سيزول. لذلك يجدر بكل مسلمٍ أن يعمر هذه الدنيا بذكر الله ﷻ والعمل لآخرته، وأن يجعل قلبه معلقًا بالدار الآخرة.

فتأمل -أيها المؤمن- في سير الأولين من الأنبياء والصالحين، كيف كانوا يعيشون الدنيا بأجسادهم، وقلوبُهم تسْبحُ في أفق الآخرة، حتى حازوا شرف الإضافة إلى ذات الله العليّة، قال تعالى: **﴿وَاذكُر عِبادَنا إبراهيمَ وَإسحاقَ وَيَعقوبَ أُولِي الأَيدي وَالأَبصارِ﴾**[ص: ٤٥].

وإنّ الطريق إلى نبذ الدنيا مفتوحٌ للجميع ويسيرٌ على من يريد؛ **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرٍ دُفِنَ حَدِيثًا، فَقَالَ:**"رَكْعَتَانِ خَفِيفَتَانِ مِمَّا تَحْقِرُونَ وَتَنْفِلُونَ يَزِيدُهُمَا هَذَا فِي عَمَلِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ دُنْيَاكُمْ"[1]،[أي مهما قصرتا]. فالمقصد الأسمى للمسلم أن يعيش حياته كزرعٍ يسقيه بماء العمل الصالح، ريثما يأتي حصادُه في الأرض الخالدة، حيث النفسُ تصير في أمان الاطمئنان، والقلبُ يسكن في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ. ومهما زُخرفتِ الحياة الدنيا ولوَّنت طيباتها، فالجوهر يبقى في التطلع للجائزة العظمى، الفوزُ بالجنة ورؤيةُ وجه الله الكريم. وعلى هذا؛ يجب التذكير بأن الحياة الدنيا لا تساوي جناحَ بعوضة إذا ما قورنت بالآخرة، وإنّ نبذها من شأنه أن يُضيء سبيل المؤمن ويحميَه من أمواج الغفلة والإلهاء. لذلك فلنجعلْ-أخي في الله- قلوبنا تعشق الآخرة، وتعمل لها، لكي نجد أنفسنا ناجين في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "**علمتُ أنّ الله لم يُطلعْ على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا مَن وفّقه وألهمه اغتنام ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**[فصلت:35]"، فمِن فضل الله ﷻ علينا أنه

[1] أخرجه ابن المبارك في الزهد، وصحّحه الألباني.

سخّر لنا الكثير من الكنوز التي من شأنها أن تهوّنَ علينا فكرة فناء الدنيا وعدم التعلّق بها، ومن ذلك: قراءةُ سورة الإخلاص، والاستغفار، **وقول النبي ﷺ:** "قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ"[2]، **وقوله ﷺ:** "وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ (أَوْ تَمْلَأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"[3].

وإن مصير الإنسان سيؤول إلى أحد اثنين، وأظنُّ أننا جميعًا نعي طريق السلامة، فتأمّلْ -أخا الإسلام- **حديث رسول الله ﷺ:** "يُجاءُ بالموتِ يومَ القيامةِ كأنه كبْشٌ أملحُ[أي: أبيض يخالطه السواد]، فيُوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهلَ الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبّون[أي: يمدّون أعناقهم] وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون ويقولون: نعم، هذا الموت، فيؤمرُ به فيُذْبَح، ثم يقال: يا أهلَ الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النار خلودٌ فلا موتٌ"[4]؛فلا تنسَ -حفظك الله- دنوّ الدنيا، وتطلّعْ إلى النعيم الأبديّ.

الثالثة- معرفةُ أهميةِ عملِ اليومِ واللّيلة:

إنّنا نتدارس عمل اليوم والليلة لأن الله ﷻ يقول: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[هود:7]، ويقول الله ﷻ: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[الكهف:7]، ويقول الله ﷻ: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[الملك:2]، فالله ﷻ خلق الدنيا وأقدارَها المفرحة والمحزنة لتظهرَ عبودية العبد في شتّى أحواله، الذي جعل اللهُ ﷻ له خيرًا في جميع تلك الأحوال؛ **قال النبي ﷺ:** "عجبًا لأمرِ المؤمن، إنّ أمرَه كلُّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلّا للمؤمن، إنْ أصابته سرّاءُ شكر، فكان خيرًا له. وإن أصابته ضرّاءُ صبر، فكان خيرًا له"[5].

---

[2] أخرجه البخاري في صحيحه.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه.

[5] أخرجه مسلم في صحيحه.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

لقد أرشدنا النبي ﷺ إلى أن نحرص على ما ينفعنا في أمور دنيانا وآخرتنا، قال رسول الله ﷺ:**"احرصْ على ما ينفعك، واستعنْ بالله، ولا تعجزْ"**[6]،وهذا منهج حياةٍ، فلا تعطِ نفسَك فرصةً للفتور أو الهبوط، بل ثابرْ دون كللٍ أو ملل.

وقد سُئل الإمام مالك رحمه الله: ما تقولُ في طلب العلم؟ فأجاب: حَسَنٌ جميلٌ، ولكن نقول للطالب: انظر إلى الأمر الذي يلزمك من حين أن تصبح إلى حين أن تمسي فالزمه، فيقول: لا تشغل نفسك بطلب العلم، وتخلص من كتابٍ إلى كتابٍ، ومن شيءٍ إلى شيءٍ دون أن يكون له ترجمةٌ حقيقيةٌ في حياتك،والذي هو عملك خلال الأربع والعشرين ساعة.

ولا ينبغي -أخا الإسلام- أن تكون أوقاتك مهملةً، فإنك إنْ تركت نفسك مهملًا عشتَ عيشة البهائم، وأصبح أكثرُ وقتك ضائعًا، فإذا ضاع وقتك ضاع عمرك، وعمرك هو رأس مالك.

يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله: **"خيرُ العلوم ما ضُبِطَ أصلُه واستذكِرَ فرعُه، وقادَ إلى الله، ودلَّ على ما يرضاه"**، وقال الحافظ عمرو بن قيس رحمه الله: **"وجدنا أنّ أنفع العلم وأنفع الأحاديث هي التي كانت تَدلنا على أمر الاخرة، والتي كانت تقول لنا الذي يعمل كذا تراه له كذا... فكنا ننشط لفعل الخير"**،ويقول ابن القيّم رحمه الله: **"وإذا أحبّ الله عبدًا اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته، فشغل همّه به، ولسانَه بذكره، وجوارحَه بخدمته"**، فهذا العبد ممّن تنطبق عليه الآية الكريمة: **﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾**[ص:46]، وقيل أيضًا: **"إذا أردتَ أن تعرفَ ما لك عند الله فانظر ما لله عندك"**،

فأين مقام الله ﷻ في قلبك؟وهل الله ﷻ هو الرقم الأول في حياتك؟

[6] أخرجه مسلم في صحيحه.

الرابعة- تعلُّمُ يقينَ القلب:

اليقين: كمالُ جزم القلب بأخبار الله ورسوله كأنه يراها رأي العين، وهو تلك الراسخة من الإيمان التي تستند إلى العلم والتعلّم، وهو الضوء الذي يُبدّد ظلمات الشكّ والحيرة. ومن الأساسيات في حياة المسلم أن يطلب العلم الذي يزيد يقينه ويثبت إيمانه بالله ﷻ؛ فالعلم النافع يُعمّق الوعي بالله ﷻ، ويجعل القلب عامرًا بذكره ومتوكلًا عليه. ويقين القلب ليس مجرد إحساسٍ عابرٍ، بل هو استسلامٌ ويقظةٌ تامةٌ للمعرفة بالله ﷻ وأحكامه، وهو الذي يحوّل الخشية إلى عبادة والرجاء إلى جُهدٍ.

وإنّ دور يقين القلب لا يقتصر على النظريات والمشاعر الداخلية فحسب، بل يتجلى أيضًا في عملية التوافق بين الباطن والظاهر، بين نبض القلب وحركة الجوارح، فحين يمتلك العبد يقينًا صادقًا، تتبعه أعضاؤه بلا تردّدٍ في الامتثال لأمر الله ﷻ والعمل على أداء الواجبات وترك المنهيات. كما ويرشد اليقين سلوكَ المسلم ويحدد مواقفه ويقوده إلى التضحية والصبر والشكر والزهد في كلّ ما يشوّش صفاء رابطته بالخالق، يشبه يقينُ القلب محركًا يحرك الروح ويدفع الجسد للتحرك في مسار الخير، معززًا الاستقامة والثبات على الحق. وكلما زاد يقين العبد زادت سكينتُه وطمأنينته، وأصبح أقدرَ على مجابهة الشدائد والتحديات بروحٍ راضيةٍ ونفسيةٍ مطمئنةٍ لقضاء الله ﷻ وقدره. إذًا؛ ينبغي للمسلم أن يتعهّد يقينه بالدراسة والتأمل والعمل، ليكون نبراسًا يهتدي به في تعقيدات الحياة، وجسرًا يعبر به إلى جنات الخلود ومرضاة الرحمن.

وإنّ (تعلُّم اليقين) مصطلحٌ رائعٌ، فالكثير يظنّ أنّ اليقين يعني عمل القلب، ولا يمكن تعلّمه، بل هو كذلك؛ يقول خالد بن معدان رحمه الله: **"تعلّموا اليقين كما تتعلّمون القرءان"**، ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: **"هو العلمُ التام، الدليل الذي ليس فيه أدنى الشك الموجب للعمل"**، ويقول ابن القيم رحمه الله: **"اليقين من الإيمان بمنزلة نزلت الروح من الجسد"**، يعني: أيّ إنسانٍ مؤمنٍ لا يوجد لديه يقينٌ كأنّه جسدٌ بلا روحٍ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **"والحسنة الواحدة قد يقترن بها من اليقين ما يجعلها تكفّر الكبائر"**.

وقال سيّد الخلق والمرسلين ﷺ: "سَلوا اللهَ العَفْوَ والعافِيَةَ، فإنَّ أحداً لَمْ يُعْطَ بعدَ اليقينِ خَيْراً مِنَ العافِيَةِ"[7]؛ فكلُّ عطاءات الدنيا تأتي بعد اليقين حتى لو كانت هي العافية؛ سواءٌ العافية في البدن، أو العافية في الدين، أو العافية في الجسد...، ويقول أبو بكرٍ الصدّيق -رضي الله عنه- هذا الصحابي الجليل الذي تربّى في مدرسة النبوة: **"اللهم هب لي إيمانًا، ويقينًا، ومعافاةً، ونيةً"**، والمعافاة لأنه تعلّم من صديقه ورسوله ﷺ أن يسأل اللهَ العافية؛ **يقول النبي ﷺ:** "يَا عَبَّاسُ! سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ"، ثم مكث ثَلَاثًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ:

[7] أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيحٌ.

عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُ اللَّهَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّه فَقَالَ: "يَا عَبَّاسُ! يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"[8].

وفي ثمرات اليقين قال ابن القيم رحمه الله: **"والقلبُ متى استيقن ما أمامه من كرامة الله، وما أعدّه لأوليائه زالت عنه الوحشة التي يجدها المتخلّفون، ولانَ له ما استوعره المترفون".**

ويُعد اليقين بالله ﷻ ركنًا رئيسيًا في بناء النفس المسلمة، وهو المطلب الذي يُحوّل درب الحياة من مساراتٍ مظلمةٍ إلى نورٍ مشرقٍ يُضيء القلوب، كما أن اليقين المطلق بالله ﷻ له قوةٌ تسلّطُ النور على كل جوانب الحياة؛ فهو يرفع الإنسان من عمق الشك واليأس إلى ساحات الأمل والثقة باللهﷻ، حيث لا حيرة ولا تذبذب. والتيقن من عظمة الله ﷻ وحكمته ورحمته، ينقل به العبدَ من ظلمات الجهل والضياع إلى نور العلم والهداية والرشاد، فعندما يستشعر العبد المسلم اليقينَ بقلبه، تتبدل حاله من القلق إلى الطمأنينة ومن ريب المنقلب إلى جزم الواثق، لأنه يدرك أن كلَّ شيءٍ يقع تحت مشيئة اللهﷻ، وأن حبل الله المتين هو أوثق عُرى الاتكال. هذا التحوّل في الوجدان يعطي المسلم دافعًا إيجابيًا يحثّه على العبادة وتزكية الذات والعمل بنية صالحة. بالإضافة إلى أنّ اليقين باللهﷻ يلهم الإنسان الصبر في مواجهة المصائب ويحقق له النجاح في تجاوز الابتلاءات، واثقًا بأن بعد العسر يسرًا.

واليقين المطلق بالله -أيضًا- يُعلّم العبد أنّ النور والظلمات ليست مجرد حالاتٍ خارجيةٍ، بل هي منعكساتٌ لحال القلب الباطن، وبتقوية اليقين يضيء القلب من الداخل ويُفيض هذه الإضاءة على الجوارح، فتسير الأقدام في نور اللهﷻ، وتعمل اليدان لخدمة دينه. وهكذا يتحقق الخروج من ظلمات الشبهات إلى نور اليقين، فالعبد المتيقن يعيش في نور يرشده للخير على الدوام؛ يقول الله ﷻ: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[الأحزاب:43].

وهناك مسافةٌ شاسعةٌ بين شخصٍ متيقنٍ بالله ﷻ تمام اليقين وآخرَ غير متيقنٍ إطلاقًا:

فالأول يعيش حياته بثباتٍ وراحة بالٍ، وقلبه مفعمٌ بالإيمانِ والتوكلِ على الله ﷻ، والصبر مغروسٌ في قلبه في مواجهة التحديات والأزمات، يرى العالمَ من خلال منظار الحكمة والرضا، ويؤمن بأن كل شيءٍ يحدث له في الحياة هو قدر الله ﷻ، وفي ذلك القدر خيرٌ حتى لو كان ظاهره صعبٌ. **أما الثاني** يجد نفسه أكثر عُرضةً للقلق والوسواس، يُفكّر في الأحداث والوقائع من حوله كمشكلاتٍ معقدةٍ بلا حلولٍ، ما يجعله

---

[8] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

يشعر بالضعف أمام تقلبات الحياة، ويفتقر إلى السكينة النفسية. وغيابُ اليقين يُشعره بالغموض وعدم الوضوح إزاء مستقبله ومعنى الأحداث التي يمر بها،كما يمكن أن يكون ردُّ فعله تجاه الصعاب متأرجحًا، وقد يتّسم بالإفراط في الحذر أو حتى الإيمان بالخرافات والأوهام التي تضفي على نظرته للعالم صبغةً من التشاؤم. بينما الشخص المتيقن بالله ﷻ يمشي في درب الحياة بخطىً واثقةً، مدركًا أن مع كل مصاعب الدنيا هناك حكمة ورحمة إلهية، يجد الشخصُ غيرُ المتيقن نفسَه يتخبط في ظلمات الريبة والحيرة. يبدو الفارق جليًا في نتائج أفعالهما؛ فالعبد المتيقن يبني قراراته على أساسٍ من الأمان الروحي والاستقرار، بينما الآخر قد يبني قراراته على غير ذلك، وربما يعتمد على العواطف المتقلبة والممزوجة بالشكوك. وعلى هذا؛ **فإن يقين القلب بالله ﷻ بمثابة بوصلةٍ تهدي الإنسان في بحر الحياة المتلاطم، فالمياه العكرة لا تُثني المركب الذي يعلم مساره ويثق بنوره الذي يتبعه إلى شاطئ الأمان**. ولعل الفرق بينهما اختصره الرسول ﷺ:**"كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"**[9].

الخامسة- معرفةُ سبيلِ الانتفاعِ بالطاعة:

يقول ابن القيم رحمه الله: **"بينَ العمل وبين القلب مسافةٌ، وفي هذه المسافة قُطّاعُ طرقٍ يمنعون وصول العمل إلى قلبه، فيكون الرجل كثيرَ العمل، كثيرَ الصلاة، كثيرَ الصيام، لكنه لا يدخل إلى قلبه محبةٌ، ولا خوفٌ، ولا شوقٌ، فلو وصل أثر العمل إلى قلبه لاستنار وأشرق"**، ويقول العز بن عبد السلام: **"ما من طاعةٍ يأتي بها الطالب على وجهها إلّا أحدثتْ في قلبه نورًا، وكلما كثرت الطاعات تراكمت الأنوار في قلبه".**

فمِن أجل أن ينتفع العبد المسلم بما يعمل من أعمالٍ، هناك **ثلاثُ نقاطٍ مهمةٍ** يجب أن يفعلها قبل ذلك:

- ### النقطة الأولى- أن يكون العمل خالصًا لوجه الله:

إن صلاح القلب هو المنبع الذي تتفجّر منه جميع الأعمال الصالحة، وهو ثمرة الأعمال في الحياة الدنيا والآخرة على حدٍّ سواء، فعندما يكون القلب صالحًا يكون مليئًا بالإيمان، مُنيرًا بالعلم النافع، نابضًا بمحبة الله ورسوله، وينعكس ذلك على سلوك الإنسان وعلى نيّته في كافّة تصرفاته وأعماله.

---
[9] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

إن القلب السوي يمتلك دافعًا داخليًا قويًا للقيام بالأعمال الطيبة والبعد عن كل ما هو سيئٌ ومُدمرٌ. ومِن صلاح القلب أنْ تكون النوايا خالصةً لوجه الله ﷻ، وعندما تكون النية خالصةً يصبح العمل مباركًا ويكون له أثره الإيجابي البالغ في الذات وفي الآخرين، فالقلب النقيّ يُثمر عملاً نقيًا، فلا تُشوبه شائبة الرياء أو السعي إلى مطامحَ دنيويةٍ زائلةٍ. هذا الصدق في النية يجعل العمل مقبولًا عند الله ﷻ، ويزيد فيه البركة، ويوسع في نفعه ليشمل الفرد والمجتمع. فصلاح القلب يتجاوز كونه مجرد شعورٍ داخليٍّ إلى كونه المحرك الرئيسي لسلوكيات الإنسان؛ فكما الشجرة الطيبة لا تُثمر إلا ثمارًا طيبة، كذلك القلب السليم يُثمر أفعالًا راشدةً، يدقّ وينبض في اتساقٍ مع الأخلاق الفاضلة والعمل الصالح، وهو ما يُمكّن الإنسان من التأثير الإيجابي في العالم من حوله.

كما يدور عمل القلب في فلك الإحسان، الذي يعني أن يعبد الإنسان ربه كأنه يراه، وهو ما يعطي للعمل قوّته وقيمته؛ إذ يسعى العبد المحسن ليكون عمله أتقن ما يمكن، آخذًا بعين الاعتبار مراقبة الله ﷻ له. **لذا؛ فصلاح القلب مسألةٌ جوهريةٌ ليس لغزارة الأعمال بل لجودتها ونواتجها**، وقلبٌ مثل هذا هو الأرض الخصبة التي تُنمي وتُكَثّر الخيرات وتُعطي الأعمال ثمارها اليانعة.

ومن ناحية أخرى؛ فإن الله ﷻ يتبرأ من العمل الذي دخله مشاركةٌ لأحدٍ برياءٍ أو غيره؛ لأنه لا يقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه؛ **قال الله ﷻ في الحديث القدسيّ:"أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركَه"**[10].

ويقول النبيﷺ:"مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ"[11]؛ فمَن سَمَّع بالقراءة أو بالدعوة إلى الله رياءً؛ سمَّع الله به وفضحه، ومَن يُرَائِي فيَطلُبُ بعمَلِه غيرَ الإخلاصِ، وليَتَحدَّثَ النَّاسُ به طلبًا للثَّناءِ والمدح يجعل ثَوابَ المرائِي وعَملَه للنَّاسِ ولا يُجازيه هو به.

زار يحيى بن أبي كثير عطاءً بن أبي رباح الفقيه، وأثناء تواجد يحيى عند عطاء جاء أناسٌ يسألون عطاءً كونه إمامهم وشيخهم،فقال عطاء:**"أتسألونني وفيكم يحيى بن أبي كثير؟"**، يقول يحيى: **"فتضرّعتُ لله أربعين ليلةً أن يخرجَ حلاوتها من قلبي"**.

---

[10] أخرجه مسلم في صحيحه.

[11] أخرجه البخاري في صحيحه.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

- **النقطة الثانية- أن يكونَ العملُ على سنةِ النبي:**

إن أساس الأعمال الصالحة وقبولِها في الإسلام يرتكز على مدى مطابقتها لما جاء به النبي محمد ﷺ، فليس كل عمل خيرٍ مقبولًا في الدين الإسلامي إلا إذا كان موافقًا للسنة النبوية ومجانبًا للبدع. فالعمل الخيّرُ يجب أن يُبنى على فهمٍ صحيحٍ وتطبيقٍ للشريعة الإسلامية وتوجيهات النبي الكريم ﷺ، ويبتعد عن كل ما هو محدَثٌ في الدين، والبدع مرفوضةٌ لأنها تغييرٌ للدين وإضافة ما ليس منه؛ **يقول النبي ﷺ:** **"من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[12]، لذلك يجب على المسلم أن يتحرّى الإخلاص في نيته، وأن يُراعي اتباع السنة، لكي يكون عمله الخير مقبولًا عند الله ﷻ.

وإنّ الالتزام بسنة النبي ﷺ يضمن أن يحمل العملُ الصبغةَ الصحيحة، وأن يكون موجَّهًا لإرضاء الله ﷻ دون البحث عن مصلحةٍ ذاتيةٍ أو شهرةٍ أو تحقيق مكانةٍ، ويقي المسلمَ من الوقوع في فخِّ الابتداع في الدين،ويحقق الانسجام مع المنهج الإلهي الذي كلّفنا به الخالق.

- **النقطة الثالثة- الدِّيمةُ:**

إنّ **الدوام** على العمل الصالح شرطٌ من الشروط الأساسية للانتفاع به وجلب الفائدة الحقيقية على كل الأصعدة، فالحماس المفرط في بداية العمل لا قيمةَ له دون أن يُصبَغَ بصبغة الاستمرارية والثبات على هذا الخير، حتى يصيرَ عادةً مترسّخةً ونمط حياةٍ يُحتذى، فسيدنا محمد ﷺ **"كانَ عَمَلُهُ دِيمَةً"**[13].

وكثيرًا ما يندفع الناس بقوة في بدايات أعمالٍ صالحةٍ بدافع الحماس والنشوة، ولكن تعظُمُ قيمة هذا العمل عندما يكون مستديمًا، ويُمارس بإخلاصٍ وعزيمةٍ حتى وإن كانت الأعمال صغيرةً؛**سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟" قَالَ:"أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ"**[14]، فهذا يشير إلى أهمية الاستمرارية والمداومة على

---

[12] أخرجه البخاري في صحيحه.

[13] أخرجه البخاري في صحيحه.

[14] أخرجه البخاري في صحيحه.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

العمل الصالح؛ لأن الأعمال **الصغيرة الدائمة** تُعلّم النفس التقوى والصبر، وتُنمّي روح الالتزام والثبات على الحق، وتصبح بمثابة زادٍ يوميٍّ تنهل منه النفسُ الطمأنينةَ والسكينةَ.

وإن الانتفاع بالعمل الصالح لا يكون بالعجلة والسعي إلى تحقيق نتائجَ فوريةٍ، بل بالتروي والصبر على جودته واستمراره في الظروف كافة، وإن الثبات على العمل الخيري ينبع من قلبٍ مليءٍ بالإيمان ورغبةٍ في التقرب إلى الله ﷻ، فالمداومة تُبقي الحس الروحاني والإيماني حيًّا، وتزيد من رصيد الأعمال الصالحة لدى الإنسان، ففي عصرنا الحالي؛ حيث تكثر المغريات ويصعب الثبات، يصبح الالتزام بالعمل الصالح حاجةً ملحّةً، وضرورةً قصوى.

السادسة-تحسينُ العمل:

ذكرنا في بداية لقائنا قول الحق ﷻ:﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، لذلك على الإنسان أن يعمل ويركّز على أن يكون العمل حسنًا بالدرجة الأولى، يقولابن القيم رحمه الله:**"من علامات صحة القلب أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان".**

وإنّ تحسينَ العمل وتصحيحه في رحاب الإسلام يُعتبَر من أعظم واجبات العبد المسلم، بل هو جوهر العبودية ومظهرٌ من مظاهر الإيمان. **وإن التركيز على جودة وإتقان العمل الصالح يجب أن يحتلّ الأولوية على مجرد كثرة الأعمال**، إذ يُعدّ الإحسان في الأفعال من القيم الجوهرية التي حثّ عليها الإسلام والنبي الكريم ﷺ.

وإنّ تصحيح العمل وتحسينه يعنيان إتمامه بما يتوافق مع الشرع الحكيم، والبعد عن كل ما يشينه من القصور أو الإخلال بشروطه، فنيّةُ العبد المسلم وإخلاصه في عمله مع دقة المتابعة للأوامر الإلهية والالتزام بالسنن النبوية في كيفية أداء العمل، تقوم بتحقيق الترقية في الذات والوصول بها إلى مراتب الكمال العملي والروحي معًا، كما أنّ التمسك بقيمة **الإتقان** في العمل يعظّم من شأن المسلم ويعكس فهمًا عميقًا لدينه، ويُعبّر عن حرصه على مرضاة الخالق ﷻ وطلب مثوبته، وهذا يتجاوز مجرد القيام بالعمل إلى تحقيق الغاية من خلقِنا وهي عبادة الله ﷻ على بصيرةٍ وفِقهٍ.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

بالإضافة إلى أنّ **تركيز العبد المسلم على تحسين وتصحيح عمله يجعله دائمَ البحث عن الأفضل،** متجنِّبًا الركون إلى الراحة والكسل، وساعيًا نحو التميُّز الدائم في علاقته مع الله ﷻ ومع الخلق، فعندما يُقدّم المسلمُ عملًا ولا يتبعه بالتفكُّر في كيفية تحسينه وتصحيحه، فإن ذلك قد يُفقِد العملَ قيمته، ويُعرِّض نفسه للوقوع في أخطاءٍ أو نواقصَ قد تؤدي إلى عدم قبوله. لذا؛ فإنّ الحثَّ على التحسين والتصحيح يُمثّل روح طلب الكمال التي علّمنا إياها الإسلام، والتي تؤدي في نهاية المطاف إلى تعزيز معاني الخير والبركة في الأعمال الصالحة التي يؤديها المسلمون، ولذلك قال بعض السلف:**"تحسين الأعمال أحبُّ إلى الله ﷻ من تكثيرها".**

السابعة- العبوديةُ:

إن العبودية هي اللّبِنة الأولى في بناء معراج الأعمال الصالحة التي يجتهد المسلم في المداومة عليها، وكل عملٍ صالحٍ يُريد المسلم القيام به، يجب أن يسبقه بالتوكل على الله ﷻ وطلب العون منه، لأن الإنسان بطبيعته ضعيفٌ، ومهما كانت لديه من عزيمة وإرادة، فهو بحاجة إلى دعم من الله ﷻ الذي لا تضيع عنده الجهود، وهذا ما أرشدَنا إليه الله ﷻ في كل صلاة، قال تعالى:**﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾**[الفاتحة:٥]،فسِرُّ العبودية أن تستعين بالله ﷻ، وأنْ لا تتوكّل على نفسك ولا على حولك ولا على قوّتك، بل أنْ تتوكل على الله ﷻ، وأن تسأل الله ﷻ عونه ومرضاتِه،**ولذلك أوصى النبي ﷺ معاذًا بهذه الوصية العظيمة:**"يَا مُعَاذُ"، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّكَ"، قُلْتُ: وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: "أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهَا فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاتِكَ؟" قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: "قُلِ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"[15]،وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:"أتحبون أن تجتهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنَّا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك"[16].

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: **"وجدتُ في أنفع الدعاء؛ فإذا هو سؤال الله العونَ على مرضاته".**

---

[15]أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وصحّحه الألباني.

[16] أخرجه أحمد في مسنده، وصحّحه الألباني.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).

وقد يتحوّل العمل الصالح من غير الاستعانة بالله ﷻ وتوفيقِه إلى مجرّد عملٍ روتينيٍّ يفتقد للروح والهدف الأسمى الذي هو طلب مرضاة الله ﷻ، فالاستعانة بالله ﷻتمنح المسلم الثقةَ والقوة للتغلب على الصعاب وتوفر له الصبر والمثابرة في وجه التحديات.

كما أنّ المداومة على العمل الصالح في ظل الاستعانة بالله ﷻ تشكل درعًا واقيًا للمسلم من الوقوع في الفتور أو الانحراف عن الطريق القويم، وتحفظ صفاءَ العمل ونقاءَه بعيدًا عن شوائب الرياء والصفة الذاتية. **فالله ﷻهو الهادي إلى سواء السبيل، والمستعان به في كل الأمور، وهو المقصود في النهاية بكل عملٍ صالحٍ.**

أسألُ اللهَ ﷻ أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد ألّا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المرجع لهذه المادة هي سلسة الدكتور طلال حسان (عمل اليوم والليلة)

رابط السلسلة :

https://on.soundcloud.com/RGvoN8vdTAVVCC3k6

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها.

**المرجع لهذه المادة هو سلسلة الدكتور طلال حسّان (عملُ اليومِ واللّيلة).